مساء الخير

حضرة العميد المحترم،

حضرة الدكاترة الكرام، أيها الحضور الكريم.

يَعزُّ عليَّ اليومَ، أن أقفَ على هذا المِنبر وفي مُقلتيَّ دمعتان متناقضتان: دمعة حزنٍ تُذكِّرني برحيل رجلٍ، لا يَسعُني وصفُهُ إلا بالحكيم! وهذا الحكيم المتواضع هو والدي المرحوم "طنّوس ملحم" . الأسماء بلا شكّ عنوان بركة، تنطوي حروفها على خصال ومزايا تعرب عن الشخص وذاتيّته. هو الذي أبى أن يغادر الحياة قبل إكمال رسالَتُه، التي لطالما اعتبرها عصًا تَعكّز عليها، إلى أن هزَلت، وانكسرت، فهوى الكبيرُ، ليسقطَ في أحضان الملائكةِ في أعلى الرَّوضِ .

وجهٌ طبعت الطيبة قسماته، كلما دانيته زادك طيبًا من حلاوة روحه. من جبلنا مخرجه، ومن ريح الجبل صيغت روحه، فيها من العفويّة البريئة ما يقارب بين الطبيعة والحكمة، حتّى يكاد يَمَّحى الفاصل بين هذه وتلك. فالطبيعة التي أحبَّها قد أحبّها شأن من ينقّي بصره وتصفو بصيرته . ومثل هذه العفوية الروحية زادٌ حلالٌ. فما تحويه النفس من معرفة ومدارك، ولئن بدا قليلاً ، يكفي مؤونة الفضائل الراهنة ويزيد .

لكن يا والدي الحبيب ، لو صفَت منا البصيرة، لأدركنا ما يُجريه روح الربّ فينا، ونحن في غربة عن ذواتنا، مأخوذون بما يجاذبنا بلا انقطاع من ميول الأرض وأحداثها .
أمّا دمعةُ الفرحِ، فأقولها بفرحٍ وافتخارٍ وعزٍّ، لأن الكبير بيننا، يسمَعُ صدى كلامٍ يُنعشُ الروحَ، هذه الرّوح المستريحة الشامخة التي علّمتنا أنّ لكلّ بدايةٍ نهاية! وأمّا في صَرحِك العالي بجانب الممجَّد القدير، فتفرح الآن بنسلِك وبلفظِ اسمك، وبأصدقائك. تطلّ على الدنيا، طيفًا سنياً يوقظ في الخواطر صورة البراءة وبهاؤها. فيا كرام، لقد صدق القولُ: "أريج البساتين يفوح، حينما تنحني عليه الرياح".

أيّها الحشد الكريم! أخيرًا، يُسعدني، لا بل يُشرّفني، حضوري بينكم اليوم، لأحتفل بهذه المناسبة التي أضحت بالنسبة إلينا جميعاً، ذكرى فرحٍ لا حزنٍ، متقدمًّا منكم جميعًا بخالص الشكرِ، يا من آمنتم بهذه الرسالة المقدّسة، فأكرمتم الذينَ عملوا بها؛ أحياء كانوا أو أمواتاً، لأنّ حياة الأموات في رسالتهم تكتمل. إنّها العطاء الحقيقيّ، والمعيار الصادق لما يبقى أو يفنى .

فشكرًا وألف شكرٍ من عائلتي الصغيرة ومنّي ومن روح أبي، وأطال الله أعماركم!

عشتم وعاشت جامعة القدّيس يوسف.
كلمة السيّد ملحم ملحم

رحَلَ ... ذاتَ يوم
سكتَت نبضاتُ قلبه
أغمضَ أجفانَه على حلم العودة إلى الحياة
فترك غَصّةً في قلب عائلته
ووَحشةً في معهد الآداب الشرقيّة

رحَلَ ... ذاتَ يوم
غابَت رنّةُ ضحكاته
وغابَ معها عطرُ الياسمين في ضيعتِه منجز
ومواسمُ الخيرات في حقولها
ولم يبقَ غير اللهفة والحنين إلى تلك الأيّام الغابرة

رحَلَ أنطون ملحم حاملاً معه أوجاعه
مستسلمًا لإرادة الحياة، مستنكرًا غدرَ الموت
طالبًا البقاء، مجبرًا على الانطلاقِ في فضاءٍ لا يعرف طريق العودة

لكنَّ طيفه لا يزال حاضرًا في كلّ زقاق من أزقّة الضيعة
وفي كلّ زاوية من زوايا الجامعة
وسيرتَه المشرّفة ستبقى محفورةً في تاريخ المعهد العريق
مطبوعةً في نفوس الأحبّاء والزملاء والطلاّب

ننحني احترامًا لروحك أيّها الأب والصديق والزميل،
ونسألُ اللهَ أن يرفعك إليه، ويجعل رحيلك بدايةً جديدة، ومحطّةَ التقاءٍ لوجهه تعالى.

الأستاذة أنطوانيت مخيبر

باسم هيئة أمناء السرّ في معهد الآداب الشرقيّة